الحدث

أوسع هجوم منظّم لـ«داعش» في البادية

الجيش يستوعب «غزوة العدناني» ويؤمّن طريق دير الزور

استطاع الجيش وحلفاؤه احتواء هجمات «داعش» على محاور مختلفة في دير الزور، وأعاد فتح طريق السخنة ـ دير الزور بعدما سقط عدد كبير من الشهداء خلال الساعات الأولى لهجوم التنظيم. كذلك صمد الجيش في مواقعه شرق الفرات في وجه مفخخات فجّرها «داعش»، ووسّع مناطق سيطرته بالتزامن بعد وصول تعزيزات إلى المدينة

أيهم مرعي

يدرك تنظيم «داعش» أن مسألة إنهاء وجوده في معاقله الأخيرة في محافظة دير الزور باتت محسومة، وأن القرار اتخذ، وهو قيد التطبيق من خلال العمليات المتصاعدة للجيش وحلفائه هناك. وهو ينطلق من هذا الواقع في الهجمات المنسقة التي شنّها على عدد من محاور ريف المحافظة، وذلك بهدف تأخير العمليات والظهور بمظهر القادر على الهجوم وقلب الطاولة؛ فالتنظيم الذي رمّم أفراد قياداته بعدما قتل الكثير منهم، استغل زخم نشر كلمة زعيمه أبو بكر البغدادي، ليطلق أوسع هجوم منظّم على نقاط ومواقع الجيش الممتدة بين ريفي حمص ودير الزور، تحت اسم «غزوة أبو محمد العدناني»، وهو المتحدّث السابق باسم التنظيم، والذي قتل في ريف حلب في آب من العام الفائت. واستهدف هجوم التنظيم الطريق الرئيسي بين السخنة ودير الزور، بالتزامن مع هجوم على بلدة حميمة في أقصى ريف دير الزور الجنوبي ومحطة «T3» في ريف حمص الشرقي، وذلك في محاولة لإرباك الجيش وتحويل مسار العمليات، وإعادة إنعاش وجوده في البادية.

ونتيجة لضغط الهجوم بعدد كبير من الانتحاريين والمفخخات، واستهداف أكثر من عشرة مواقع في الوقت ذاته، نجح التنظيم في السيطرة على بلدة الشولا والوصول إلى أطراف بلدة كباجب وهريبشة، والضغط على حميمة ومحطة «T3»، إلى جانب محاولة الوصول إلى السخنة عبر الضغط على تلال الهيل المحاذية للبلدة. الهجمات أربكت دفاعات الجيش، قبل أن تتمكن وحداته من استعادة التوازن، وإطلاق هجومين مضادين متزامنين؛ الأول انطلاقاً من دير الزور باتجاه الشولا، والثاني من السخنة باتجاه كباجب. وبمساندة من سلاحي الجو السوري والروسي، تمكنت القوات من الالتقاء في محيط كباجب بعد استعادة السيطرة على المواقع التي تسلل إليها التنظيم، وإنهاء الخرق الذي أحدثه. كذلك امتصّ الجيش الهجمات على حميمة ومحطة «T3»، وقتل العشرات من مسلحي التنظيم.

وخلال الموجة الأولى من هجمات التنظيم سقط عدد كبير من الشهداء في صفوف الجيش وحلفائه، وأدت أيضاً إلى استشهاد عدد من المدنيين على الطريق بين كباجب والشولا، من بينهم عضو مجلس الشعب السابق عن دير الزور جهاد الشخير وسائقه، وسط أنباء عن إعدام التنظيم لعدد من سائقي الشاحنات التجارية التي كانت متوجهة إلى المدينة عبر الطريق الرئيسي. وأكد مصدر عسكري في حديثه إلى «الأخبار» أن «الجيش أحبط مخططاً واسعاً للتنظيم، يتوافق ومخططات «التحالف الدولي»». وكشف المصدر أن «الجيش قتل جميع المهاجمين، وسوف يعيد فتح الطريق رسمياً بعد الانتهاء من إجراءات تأمينه، وتعزيز وجود القوات في محيطه بما يمنع تكرار الهجمات».

وبالتوازي، شهدت الضفة الشرقية لنهر الفرات هجمات مركزة من «داعش» تستهدف المواقع التي سيطر عليها الجيش هناك خلال الأسابيع الماضية. غير أن الجيش استطاع صدّ الهجوم والتقدم باتجاه قرية حطلة من الجهة الغربية وبلدة أبو عمر شرقاً. وتضمن هجوم «داعش» تفجير ثلاث عربات مفخخة في محيط بلدات مرّاط ومظلوم وخشام. ويتوقع أن تشهد جبهة حميمة ومحطة «T2» عمليات جديدة، بهدف تأمين كامل محيط طريق السخنة ـ دير الزور الشرقي، ومنع تكرار هجمات التنظيم على الطريق، وصولاً إلى التمهيد لشنّ عمليات نهائية باتجاه الريف الشرقي في البوكمال والميادين، بالتوازي مع عمليات في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة.

> **موسكو: لن نسمح لواشنطن بعرقلة عملياتنا العسكرية ضد الإرهاب**

وفي مقابل نشاط الجيش شرق الفرات، تشهد جبهة «قوات سوريا الديموقراطية» مع «داعش» هناك جموداً لافتاً، بعد أن ثبّتت تلك القوات مواقعها في حقلي العزبة وكونيكو، دون أيّ تقدم جديد على هذا المحور. وفي هذا السياق، أعلنت وزارة الخارجية الروسيّة على لسان نائب الوزير، أوليغ سيرومولوتف، المسؤول عن التعاون في مجال مكافحة الإرهاب، أن «موسكو ستقاوم محاولة واشنطن عرقلة عملية القضاء على الإرهابيين في سوريا بشكل نهائي». وتزامن ذلك مع اجتماع للرئيس الروسي فلاديمر بوتين مع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الروسي، لبحث الوضع في سوريا، وخاصّة في دير الزور. وهو ما انعكس على حجم التعزيزات الروسية التي وصلت إلى دير الزور، بما يشير إلى احتمال تنفيذ عمليات أوسع في المحافظة.

وبالتوازي، أعلن مسؤولون أميركيون أمس أن جنديين أميركيين تعرّضا لإصابات «لا تهدّد حياتهما» عندما ارتطمت طائرة عسكرية من طراز «أوسبري» كانت تقلهما بالأرض أثناء هبوطها في أحد المواقع ضمن سوريا. وقال الجيش الأميركي في بيان إن الجنديين «نقلا إلى منشأة طبية وخرجا بعد التأكد من أن إصابتهما غير خطيرة». وأضاف أنه «لم يصب ركاب آخرون كانوا على متن الطائرة ولم تحدث أي إصابات أخرى على الأرض».

نجح «داعش» بداية في السيطرة على الشولا والوصول إلى أطراف كباجب وهريبشة (أرشيف ـ أ ف ب)

مقالة تحليلية

عن تهديدات إسرائيل و«أفعالها»... في سوريا

يحيى دبوق

صراخ إسرائيل وتهويلها إزاء الساحة السورية لا ينقطعان. وهي تتفنّن في وضع الخطوط الحمر وإطلاق التهديدات، بل وأيضاً الاعتداءات المحدودة نسبياً على دلالاتها، علّها تدفع أعداءها إلى التراجع، وعلّها تدفع حليفها و«صديقها» أيضاً إلى التراجع.

وصراخ إسرائيل موجه إلى ساحتَي لبنان وسوريا المترابطتين رغم اختلافهما، من ناحية تل أبيب، إن لجهة القدرة أو لجهة التنفيذ، أو لجهة الفرضيات. الأولى ممتنعة بالكامل، أقله حتى الآن، والثانية، تحمل من الفرضيات النظرية، ما يؤمل إسرائيل ويدفعها إلى مواصلة صراخها.

من ناحية لبنان، توجد حقيقة حيّة وملموسة وقطعية، في المعادلة القائمة بين الجانبين: إسرائيل مردوعة عن الساحة اللبنانية. وهي حقيقة يقرّ بها العدو، عملياً وليس فقط كلامياً، منذ سنوات، ولا ينكرها إلا مكابر.

الحقيقة الثانية والقائمة أيضاً والملموسة، من ناحية الساحة اللبنانية، أن العدو يهدد حزب الله ولبنان، بل وامتهن التهديد، إلى الحد الذي بات يتفنن في عباراته. لكن، في المقابل، لم يرق هذا التهديد، للتعذر، إلى أفعال عدائية في الحد الأدنى من أدنى التهديدات الإسرائيلية الكلامية المساقة ضد حزب الله ولبنان. وماذا يعني أن تكون مردوعاً، وتهدّد؟ سؤال يستأهل كثيراً من التأمل.

نعم، الردع لا يمنع حرباً إسرائيلية بالمطلق، لكنه منعها إلى الآن. وهذه هي إحدى الحقائق التي لا جدال فيها. وفي موازاة ذلك، التهديد والتفنن في التهديد، يشيران إلى محدودية الخيارات العملية، وإلا لا داعي للتهديد، وهذه أيضاً حقيقة ثالثة.

في الساحة السورية، المسألة قد تكون مختلفة نسبياً. المعركة بين إسرائيل وأعدائها باتت تتركز بشكل أساسي في هذه الساحة وعليها، لكن بما يتعلق باليوم الذي يلي الانتصار العسكري للدولة السورية وحلفائها، بعدما سلمت قهراً بهذا الانتصار. المعركة الحالية قائمة وموجهة على ما يمكن أن يترتب على الانتصار من تهديدات، إسرائيل معنية بمنع تشكله أو تقليصه أو الحد من تداعياته. كل ما يصدر عن إسرائيل من تهديد وتلميحات وفرضيات، موجهة تحديداً للحد من هذا التهديد.

لكن هل تنجح مساعي إسرائيل؟ سواء اعتقدت ذلك أو لا، هي غير قادرة على الوقوف بلا حراك، وبما يشمل الصراخ والتهديد، وكذلك أيضاً خطوات عملية من هنا وهناك، في حدود الاستطاعة وضمن الضوابط التي لا تسمح لها بتخطي الظروف الموضوعية القائمة في الساحة السورية.

حديث إسرائيل وتهويلها، وكذلك تهديداتها المتكررة، الموجّه في الأساس إلى أعدائها في الساحتين اللبنانية والسورية، هو حديث موجه أيضاً، وبالموازاة، إلى حليفها الأميركي، وأيضاً إلى «صديقها» الروسي. إنه في حال عدم تحقق مصالحها أو امتناع التهديد عنها، في اليوم الذي يلي الانتصار الميداني لأعدائها، فهي قادرة ومتوثبة، للتأثير سلباً، بما يمكن أن يضرّ بالتسوية المتبلورة بين روسيا وأميركا، المبنية لأسف إسرائيل، على الانتصارات الميدانية نفسها. لكن هل تستطيع فعلاً؟ المهمة قد تكون أكبر بكثير من قدراتها الفعلية.

بالطبع، لا يرضي إسرائيل ويطمئنها، استراتيجية أميركا المبنية على مرحلة ما بعد الحرب في سوريا، وأنها بحسب مستشار الأمن القومي الأميركي، هربرت ماكمستر، في كلمة ألقاها قبل أيام في «معهد لدراسة الحرب» في واشنطن، قررت مواجهة الرئيس الأسد وإيران وحزب الله في سوريا، من خلال «رصد مبالغ طائلة لإعادة إعمار سوريا ولن تصرف في المناطق التي يسيطر عليها الأسد والإيرانيون». وهذه استراتيجية، من منظور إسرائيلي، وهي كذلك، مبنية على واقع التسليم بالانتصارات الميدانية التي لا تمنع تشكل التهديد على إسرائيل، بالمستوى الذي يمكنه أن يتشكل.

كذلك من ناحية «الصديق» الروسي، الذي وإن كان لا يعارض تحقيق مصالح إسرائيل مبدئياً، لكنه في الوقت نفسه غير قادر، ولا يرغب، في تحقيق هذه المصالح على حساب مصالحه هو، المرتبطة حالياً، وإلى حد بعيد في مرحلة ما بعد القتال المباشر، بمصالح أعداء إسرائيل في الساحة السورية، التي لا تقتصر فقط من ناحية تل أبيب على الوجود الإيراني وحزب الله، بل أيضاً على إعادة ترميم الدولة السورية مقدراتها العسكرية، التي عدت من ناحيتها خطأً أحمر، كما ورد عن نتنياهو نفسه في الأسابيع الماضية.

إذاً، إسرائيل غير قادرة بقدراتها الذاتية على تحقيق مصالحها للتعذر. وكذلك الحال من ناحية الأميركي، الذي يتعذر عليه تحقيق ذلك، علماً بأن المصلحة جارفة لديه، فيما «الصديق» الروسي، غير قادر ولا يرغب.

تشير صحيفة «واشنطن بوست» (2017/09/28) الى أنّ «السفينة أبحرت بالفعل»، وأنّ الاستراتيجية الأميركية لمواجهة إيران وحزب الله في سوريا، باتت في «عداد المفقودين»، وألقت اللوم على الإدارة الأميركية السابقة، إدارة الرئيس باراك أوباما، التي أهدرت كل الفرص المتاحة للتأثير في الساحة السورية، وامتنعت عن تشكيل قوة سورية ميدانية غير «قوات سوريا الديموقراطية»، قادرة على فرض الحقائق الميدانية، ولاحقاً على طاولة المفاوضات والحل النهائي.

بإمكان إسرائيل، في المقابل، أن تلقي اللوم على استراتيجيتها السابقة في سوريا، التي راهنت من خلالها على إمكان، بل حتمية، سقوط الدولة السورية، وتبعاً لها، سقوط حزب الله. أمّا التطلع لتحقيق المصالح رغم انكسار الرهانات، فهي مهمة مستعصية، وهي في حد أدنى صعبة ودونها عقبات جدية. ولعل ذلك ما يفسر مستوى وحجم وصدى الصراخ، الأكبر بكثير من الأفعال.